عوامل نشر الثقافة الإسلامية وبقائها في نيجيريا

موسى عبد السلام مصطفى أبيكن

مقدمة:

الإسلام هو الدين الذي يطيع به العبد ربه، ويتقرب به إلى مولاه في سلوكه اليومي وعباداته وعاداته وتقاليده ومعاملاته مع الناس. وهو أيضًا النظام الذي وضعه الخالق لعباده الذين رزقهم من الطيبات، وفضّلهم على كثير من خلقه، لكي يسيروا على هذا النظام في سائر مجالات الحياة من سياسة وتجارة وحكومة وقضاء[١] ولله در القائل[٢]:

دين أتى فتنشط الفقـــــراء	الملك والخدام فيه سواء
لا رب إلا الله هذا رمـــــزه	هل كان في هذا المقال مراء؟
ومحمد عبد رسول قد أتـــــى	بالمعجزات فعافها جهـــلاء
يتأله العظماء هذا معجـــب	ما بالكم بالعجب يا عظمـاء؟
ما غركم بالمعدمين ألا احسنوا	حتى يسر بعدلكم عدمـــاء
دين السلام لأنت أحسن منقـذ	لولاك لاستعصى علينا الداء
يبني لنا مجدا رفيعا عاليـــا	والأصل من ذاك البناء إخاء

دور الأديان في نشر التعليم:

الدين هو العامل الأول في نشر الكتابة والقراءة بين ربوع العالم، و ذلك لأن الأنبياء وأتباعهم هم الذين كانوا يهتمون بتسجيل ما أوحى الله به إلى الأنبياء بالكتابة، وحينما كان الناس يهتمون بالزراعة

١- آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا**، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص ٥.

٢- عيسى ألبي أبو بكر، **الرياض**، مطبعة ألبي الإنتاجية، إلورن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م ، ص ١٣٩-١٤٠.

والصناعة والتجارة، كان رجال الدين يهتمون بالكتابة والتعليم[٣]. وهناك آيات كثيرة وردت في توجيه المسلمين إلى آداب المعاملة مع غيرهم، كما نشر الرسول عليه الصلاة والسلام العلوم والمعارف بين المسلمين، وأمر بتعليم الكتابة والقراءة، وتحدث بكثير من أساليب التعليم وقواعده في جملة أحاديث. وبالنسبة للإسلام خاصة، فإن المساجد الإسلامية كلها معاهد للعلوم والمعارف إلى أن جاء النظام الجديد، فانتشرت المدارس النظامية.أليس من الجور بعد ذلك أن تسعى بعض الحكومات في إبعاد الإسلام عن مناهج التعليم في المدارس العامة ؟!

أصناف من نشروا الإسلام في غرب أفريقيا:

يمكن حصر الذين نشروا الإسلام في غرب أفريقيا في أربعة أصناف:

الصنف الأول:

الغزاة الفاتحون، ونقصد بذلك الذين عملوا على نشر الإسلام أولًا في غرب أفريقيا، ووطدوا له السبل، ومهدوا أمامه الطرق بفتوحاتهم، وأقاموا دولا إسلامية بعد نجاحهم في إيصال رسالة الإسلام إلى سكان هذه المناطق من توطد فيها الوجود الإسلامي خلال أدوار تاريخية متتابعة، بداية من عقبة بن نافع الصحابي، ومن تولى على أفريقيا من بعده من الأدارسة والمرابطين والموحدين والملاويين والوناغرة والفلانيين والبرنويين[٤].

الصنف الثاني:

هم التجار المسلمون المتجولون ببضائعهم، فقد عملت التجارة في نشر الإسلام بغرب أفريقيا عامة، وفي نيجيريا بصفة خاصة، فالذين ينقلون بضائع كالسيوف والرماح والملابس الصوفية والحريرية من شمال أفريقيا إلى غربها، كانوا يتوزعون لبيعها في غانه ومالي وتكرور وصنغى وكنو. وكان هؤلاء التجار ـ بطبيعة الحال ـ يسافرون جماعات لتبادل هذه السلع وتلك البضائع، مزودين بالأسلحة التي تحميهم من المعتدين، وإذا حلوا ببلد أقاموا في حي لهم مستقل عن الحي الأصلي الوثني، وكوّنوا لأنفسهم جالية إسلامية، تقيم فيها إقامة دائمة بالبلد، وتحيي شعائر الإسلام كعادتهم في بلادهم، يتوضؤون ويقيمون الصلاة جماعات ويظهرون شعائر الإسلام جهارا أمام الناس.

٣- آدم عبد الله الإلوري، **نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي**، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م، ص ١٤.

٤- آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني**، مكان النشر غير مذكور، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ص ٤٠.

وإذا جاء شهر رمضان، أحيوا لياليه بالاجتماعات للتراويح، وتلاوة القرآن، ومجالس الوعظ والذكر، وإذا أفطروا أو تسحروا، تزاحموا جميعا على طعام الإفطار والسحور في وقت واحد بصورة جذابة وطريقة مغرية، وكذلك إذا حل فيهم عيد الفطر، احتفلوا به وخرجوا لصلاته في المصلى، يظهرون حين ذهابهم وإيابهم مزايا الإسلام ومحاسنه.

وإذا أدركهم عيد النحر، عظموا ضحاياهم وقدموها قربانا لله، ثم فرقوا لحومها بين فقرائهم، وتزاوروا فيما بينهم. كل هذا، وذاك مما يؤثر على عقول الصغار من غير المسلمين، ويلفت أنظارالكبار ممن شرح الله صدورهم للإسلام، فيدخلون مع المسلمين في دين الله. ويعد من الأسباب المهمة التي جذبت سكان هذه البلاد إلى الإسلام تسامح المسلمين في التعامل معهم بالخلق الحسن، والتودد إليهم بالقول اللين، وتأليف قلوبهم بالهدايا والهبات، ومداواة مرضاهم، وإغاثة ملهوفيهم حتى فضلوا دين الله على دين آبائهم، فدخلوا في الإسلام.

الصنف الثالث:

ومن الذين يرجع إليهم الفضل في استقرارالإسلام في غرب أفريقيا هم الصوفيون، وهم العبّاد والنسّاك المعروفون بلزوم الأذكار والأوراد، والإعراض عن زهرات الدنيا وزخارفها، والزهد في ملذاتها وشهواتها. ولهؤلاء الصوفيين جهود ملموسة في نشر الإسلام، ونفوذ محسوس في إقامة الدول والممالك الإسلامية. ولم تقم دولة المرابطين إلا بفضل النزعة الصوفية[٥]، ولو لم يكن المريدون منظمين ومستعدين لتلقي الأوامر وتنفيذها، لما استطاع عبد الله ياسين أن يؤسس دولة المرابطين، ولما تسنى للشيخ عثمان بن فوديو أن جدد قوة الإسلام في نيجيريا[٦]. وإن كانت الصوفية قد خرجت اليوم عن مقصدها الأول، وتسربت إليها البدع والأفكار الأجنبية على حد قول القائل[٧]:

بعض التصوف خشية وصفاء ... ويكون فيه تحايل ورياء
يا قوم ما جدوى الزوايا ملوها ... جهل المريد تقوده أهواء ؟
لا ينفع التهليل قلبا عاشفـا ... مستنقع الأدران وهو خلاء
إن التنسك بالجهالة فتنـة ... والعلم من دون الصلاح بلاء

٥- آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام في نيجيريا**، ص ٤١.

٦- المرجع السابق، ص ٤٢.

٧- عيسى ألبي أبو بكر، **السباعيات**، النهار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م ، ص ٥٦.

أهل الحقيقة والطريقة إنكـم لتقاكم بين الورى شرفــاء

الصنف الرابع:

هم الأغنياء والموظفون الكبار الذين يشغلون المناصب العالية في الدواوين الحكومية، فالأثرياء منهم كانوا يساعدون البؤساء والمنكوبين حتى جذبوا بفعلهم الجميل عددا كبيرا من المسيحيين والوثنيين إلى الدخول في الإسلام. فهؤلاء الأصناف هم الذين ساعدوا على نشر الإسلام في مختلف أنحاء غرب أفريقيا في الماضي والحاضر حتى استغلظ واستوى في هذه المنطقة من العالم بشكل عام، وفي نيجيريا بشكل خاص.

مكانة أئمة المساجد في غرب أفريقيا:

احتل الأئمة مكانا مرموقا في غرب أفريقيا،قديما وحديثا، فهم في شمال نيجيريا وزراء ونواب للأمراء لدى المسلمين وقوادهم، ولسان حالهم لدى الحكومات المختلفة "فيدرالية، ولائية، محلية"، وكان الجامع الكبير في كل بلد رمز الوحدة الإسلامية حيث يجتمع زعماء المسلمين وأعيانهم وتجارهم في كل جمعة، يتبادلون الآراء في أمور الدين والدنيا معا، ولا تزال هذه الوحدة قائمة حتى الآن برغم زيادة عدد الجوامع في البلاد، لأنها وإن تعددت، فلا تزال تدين بالولاء للجامع العتيق[٨].

دور الاحتفالات الإسلامية في نشر الثقافة الدينية:

من أسباب انتشار الإسلام في نيجيريا ما ابتدعه العلماء من نظام الاحتفال لبعض شعائر الإسلام، تعظيما لها، وتنشيطا للمسلمين عليها، وترغيبا للكافرين في الإسلام، ويقام بعض تلك الاحتفال في المساجد، كحفلة تولية الإمامة، واعتناق كافر للإسلام، وبعضهم يقام في المدارس كحفلة ختم القرآن، واستقبال العائد من الحج. لقد صارت هذه الاحتفالات في نيجيريا أداة من أدوات الدعوة إلى الله، ومجلسا من مجالس الوعظ والإرشاد، فلا غرو في أن يكون كل اجتماع للمسلمين فرصة تتيح للواعظ أن يخاطب الجمهور بما يناسب المواقف والوقائع من حكم الله ورسوله. يُذكر فيما يلي بعض الاحتفالات الإسلامية التي يقيمها المسلمون في مناسبات الأفراح والأتراح حسب ما جرت به العادة في نيجيريا.

١- حفلة النكاح:

ففي حفلة النكاح مثلًا، يتولى الإمام تلقين صيغة التزويج لولي العروس، وصيغة الرضى والقبول للزوج ووكيله، كما يتولى إعلان الصداق، وإشهاد الحاضرين على ذلك كله، ثم الدعاء للزوجين بالرفاه والبنين، ثم يختم بتذكير الزوجين بحقوقهما وواجبا تهما على وجه يستفيد منه الحاضرون جميعا.

٨- آدم عبد الله الإلوري، **حصاد المناسبات الإسلامية**، دار الفجر الإسلامي، لاغوس، ط ١ ، ٢٠٠٩م، ص ٩٢.

ب- **حفلة تسمية المولود:**

تعتبر تسمية المولود حفلة مهمة في المجتمع النيجيري المسلم، ففي يوم سابع، يحضر الإمام وجماعته إلى بيت والديه ضحوة، فيفتتح الإمام بالثناء على الله، والصلاة والسلام على رسول الله، ثم يعلن اسم المولود حسب اختيار والده، مقترنا باسم من أسماء الله تعالى، أو يختاره من أسماء أنبيائه وصحابة نبيه، يدعو الإمام بالخير والبركة والسلامة لهذا المولود ووالديه والحاضرين أجمعين، ثم يذكر الناس بحقوق الولد على الوالد في الحضانة والتربية والتعليم والتزويج وأشباه ذلك(٩).

ج- **الجنازة:**

وفي الجنازة يتقدم الإمام بالصلاة على الميت، وإذا فرغ قام أهله بحمله ودفنه، وإذا فرغوا من ذلك، اجتمع الناس عند ولي الميت، وقام الواعظ بالتعزية وتذكير الناس بما حل بواحد منهم مستندا إلى الآيات القرآنية والآحاديث النبوية، ويختم بالدعاء للأحياء والأموات.

د - **استقبال الحجاج:**

لقد كان استقبال الحجاج أمرا ذا شأن عظيم في المجتمع النيجيري، حيث يخرج الأقارب والأصدقاء إلى موقف السيارة، أو محطة القطار، أو المطار الذي يعود الحاج عن طريقه يستقبلونه، ليستقدموا هذا الحاج، وليرافقوه إلى بيته في موكب عظيم، كأنه ملك يتوج، وهم يهتفون بالأناشيد المحلية أو العربية المؤيدة للإسلام، فيمدحون النبي وأصحابه حينا، أو يعدون فضائل الحاج، وزيارة قبر النبي أحيانا أخرى.

هـ- **اعتناق الإسلام:**

يجتمع العلماء والأئمة عادة في بيت المسلم الجديد، وحوله أهله وذووه، ليعلن إسلامه بينهم، وليتولى الإمام تلقينه كلمة الشهادة بمشهد من المسلمين، وربما قام الداعي في كل ذلك بتوزيع الهدايا والصدقات من الأموال والحلوى والفواكه، أو يتقدم إليهم بطعام الإفطار إن كان صباحا، أو بالغداء إن كان ظهرا، أو العشاء إن كان ليلا، وقد يعلن المسلم الجديد إسلامه بالمسجد(١٠) وتنطبق هذه العادة على معظم بلدان غرب أفريقيا.

٩- آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام في نيجيريا**، ص ١٤٣.

١٠- إن الواقع والمشهود هنا في ولاية كوغي، وبالذات مدينة أنيبا حيث تقع فيها الجامعة، إن عددا غير قليل من الناس يعلنون إسلامهم يوم الجمعة قبيل الخطبة، ويجمع بعد ذلك المصلون بتقديم الهدايا من الأموال والملابس للمسلمين الجدد. وهذا يحدث غالبا في المسجد الكبير بالمدينة، وبالجامعة ذاتها.

شرعية هذه الاحتفالات وعدم شرعيتها:

إن الأغلبية الساحقة من العلماء والأئمة في غرب أفريقيا، لا يتقاضون أجورًا نهاية كل شهر من جهة رسمية وغير رسمية[١١]، ولا يخفى على أهل العلم والإسلام أن هذه الطريقة المتبعة لمعيشة الأئمة والعلماء في هذه البلاد قد اضطرتهم إليها الضرورة، لأنهم افتقدوا من يعطيهم الرواتب الشهرية من الدولة أو الأوقاف. وأكثرهم يتفرغون لهذا العمل، ويكتفون بالقليل الذي يحصلون عليه، حتى أصبحت هذه الطريقة مألوفة بينهم، وصار من الصعب تبديلها بغيرها إلا إذا وجدت حكومة إسلامية، تتولى تنظيم الشؤون الإسلامية وإدارتها في هذه المناطق (غرب أفريقيا)[١٢] وربما يؤول هؤلاء العلماء بعض الآيات القرآنية لتجويز المعيشة على هذه الطريقة مثل قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[١٣].

دور الوعّاظ في نشر الإسلام:

إن الخطب المنبرية التي تلقى في الجمع والأعياد، ليس لها أي تأثير على السواد الأعظم من المسلمين في غرب أفريقيا عموما، وفي نيجيريا خصوصا، لأنها تلقى باللغة العربية، فلايستفيد منها إلا العلماء، وهم قليلون[١٤]. وقد اضطر الأئمة بإلحاح الناس إلى إدخال بعض التعديلات الخفيفة في ترجمة الخطبة، وذلك بأن يتقدم واعظ معيّن من قبل الإمام لترجمة الخطبة للناس من قبل إلقائها، أو بتذكير الناس بشيء من القرآن والحديث قبل إلقاء الخطبة في نحو ربع ساعة، أو بإلقائها باللغات المحلية.

أما الوعظ والإرشاد بوجه عام، فقد اعتقد علماء نيجيريا وجوبه عليهم، وكانوا حريصين على أداء هذا الواجب في كل فرصة سانحة، فلكل إمام بين جماعته ولكل عالم بين تلاميذه نشاط ملموس، خصوصا في أيام رمضان ولياليه، حيث يترجم بعضهم القرآن، ويفسر بعضهم الحديث في الأيام والليالي الرمضانية.

ويمكن تقسيم الوعاظ النيجيريين إلى ثلاثة أقسام:

١- القسم الأول:

هم العلماء الذين يعقدون مجالس وعظهم في مساجدهم، ويلقون دروس العلم على جماعتهم

١١- آدم عبد الله الإلوري، **نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي**، ص ١٥٤.

١٢- آدم عبد الله الإلوري، **حصاد المناسبات الإسلامية**، ص ١٠٠- ١٠١.

١٣- سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

١٤- آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام في نيجيريا**، ص ١٤١.

كل يوم الجمعة من بعد صلاة الصبح حتى الإسفار، أو ليالي جمعة من بعد صلاة العشاء، أو أي يوم آخر من أيام الأسبوع.

٢- القسم الثاني:

هم العلماء الذين يخصصون لمجالس وعظهم يوما معينا أو ليلة معينة، في الساحات العامة، حيث يحضرها الرجال والنساء ويقضون فيها الساعات.

٣- القسم الثالث:

وهم العلماء الذين يتطوعون ويتنقلون للوعظ من بلد إلى آخر، ويعقدون له مجالس مهمة، يجاهدون به الكفار والمنافقين، ويذكرون المسلمين. ولقد كان لهؤلاء فضل كبير في دخول الناس في دين الله أفواجا وأفذاذا، وأشهر من عرف منهم في العصر الحديث في بلاد يوربا[١٥]، الشيخ سعد النفاوي الإلوري[١٦] الذي كان يتغلغل في المدن والقرى بهذا الوعظ حتى أدخل نحو مائة ألف كافر في الإسلام في بلاد يوربا، والدهومي وغيرهما في غرب أفريقيا، وقد اشتهر بما كان يكرره من الكلام الذي معناه "كيف يفلح من لم يتعلم ولم يسأل العلماء"؟

هذا، وقد اخترع هؤلاء الوعاظ في مجالس وعظهم الأشعار الأعجمية في نغمات يتذوقها الشعب النيجيري المسلم، ويتأثر الناس بها ولاينسونها أبدا، ويسمونها بـ: "واكا "[١٧] في لغتي يوربا وهوسا. وقد اعتادها بعضهم حتى صارت له ملكة يقتدر بها على تفسير كل آية من القرآن بهذا الأسلوب

١٥- تقع بلاد يوربا في الجنوب الغربي من خريطة نيجيريا الواقعة بغرب أفريقيا. ويبلغ الناطقون بلغة يوربا ما لا يقل عن خمسين مليون نسمة، يبلغ عدد المسلمين منهم ثلاثين مليون نسمة، والباقون إما مسيحيون أو وثنيون. وتبلغ المدن التي تقام فيها الجمع والأعياد فيها خمسمائة مدينة على وجه التقريب.

١٦- هو الشيخ سعد الملقب بأمير الواعظين. وهو الواعظ العجيب الذي رزق بالكرامات العديدة أمام كفار بلاد يوربا. لم يترك هذا العالم بلدًا مهمًا من بلاد يوربا على وجه الخصوص إلا دخله ووعظ أهله. ويقال: إنه كان يدخل على الملوك الذين يحوطون أنفسهم بالأصنام، وإذا دخل عليهم، تسقط الأصنام على وجوهها، وربما احترقت من غير أن يرى منشأ النار. وتذهب رواية أخرى إلى أن الذين أسلموا على يديه، بلغوا نصف مليون نسمة. ولمزيد من المعلومات عن هذا الداعية، انظر: آدم عبد الله الإلوري، **لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن**، ص٤٤-٤٥.

١٧- واكا بفتح الواو والكاف، لون من الشعر الشعبي، يحتل هذا النوع من الشعر مكانا فريدا في المجتمع اليورباوي والهوساوي، لا يحتلها فن آخر من الفنون الشفاهية لصلته بالإسلام. وهو أكثر تعبيرا عن حياة الأمة المسلمة النيجيرية، ولمزيد من المعلومات عن واكا، انظر: مشهود محمود محمد جمبا، **واكا إلورن**، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص: ك (مقدمة الكتاب).

الشعري المعروف عندهم[١٨].

رجحان كفة العلماء على شعوذة الكهنة والسحرة بالبلاد:

عرف ملوك نيجيريا، قديما وحديثا، باتخاذ من الكهنة عضدا في شؤونهم، كما وجدوا من السحرة ملتحدا في حروبهم. ولما جاء العلماء، لم يجدوا بدا من استعمال ما يقوم مقام السحر والكهانة من الطاقات الروحية، ليصرفوا بها وجوه هؤلاء الملوك إليهم، فاستخدموا الروحانيات، واستطاعوا أن يسيطروا بها على الماديات، وتفوقوا على السحرة والكهنة في كثير من المناسبات، فصار لهم مركز مرموق لدى الملوك والأغنياء، ومقام محترم عند الأمراء والبسطاء[١٩] فصار للإسلام عزة وكرامة في نفوس العوام، وصارت الأعياد الإسلامية رسمية في نيجيريا[٢٠] يحتفل بها الملوك، طوعا وكرها، ويقدمون الهدايا والعطايا إلى العلماء والأئمة، رغبة أو رهبة، فصار للأئمة والعلماء في الدواوين الملكية صفة شبه رسمية أو دولة صغيرة داخل دولة كبيرة، يرأسها الإمام الكبير في كل مدينة، ويوازرها العلماء والفقهاء، فاستطاعوا بذلك أن يثبتوا كيانهم، ويفرضوا على الناس وجودهم بين أمواج الكفر المتلاطمة، حتى صار الملوك يحسبون لعلماء الإسلام ألف حساب ما لا يحسبونه للقساوسة والمطارنة ورؤساء الأديان الأخرى[٢١].

جهود الجمعيات الإسلامية في نشر الإسلام والعربية بنيجيريا:

الجمعية هيئة مكونة من أفراد تجمعهم علاقة غير علاقة القرابة والجوار، وتربط بينهم غاية مشتركة دينية أو فكرية أو سياسية أو صناعية[٢٢] وقد كان أهل العلم يتعاونون فيما بينهم للدعوة أو لنشر العلم، وكانت الطوائف الفكرية كالمعتزلة والأشعرية والقدرية وغيرها، تحل قديما محل الجمعيات الحاضرة، كما أن فرق الصوفية كالقادرية والشاذلية والجنيدية، تعمل تحت قيادة موحدة، كما تعمل الجمعيات[٢٣].

١٨- آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام في نيجيريا**، ص ١٤٢.

١٩- المرجع السابق، ص ١٤٠.

٢٠- ومن الدلائل على ذلك أن نيجيريا تعطي إجازة رسمية في يوم المولد النبوي والأعياد الإسلامية بما في ذلك الهجرة النبوية، ليتمكن المسلمون من أداء شعائر دينهم الإسلامي، ونيجيريا دولة علمانية، لا إسلامية ولامسيحية، وإن كان المسلمون أكثر عددا من أتباع بقية الأديان الأخرى.

٢١- آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام في نيجيريا**، ص ١٤٠ - ١٤١.

٢٢- آدم عبد الله الإلوري، **تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم**، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م، ص٢٤٦.

٢٣- المرجع السابق، ص ٢٤٧.

وجمعيات نيجيريا قوامها الصداقة والديانة ثم السياسة والتجارة. فاليوربويون أكثر اعتناء بتأليف جمعيات الصداقة من غيرهم من القبائل الباقية، ويتألف أعضاء جمعياتهم من الأقران المتقاربين في الحسب والشرف، ويتعاونون فيما بينهم على إنجاز مشروعات خيرية تعاونية مشتركة كتعاونهم على إنجاز بناء منزل أو حرث مزرعة خاصة ما عجز أحدهم عن إنجازه في الوقت المناسب بعد شروعه فيه(٢٤)، ومن أهم هذه الجمعيات ما يلي:

١- **جمعية أنصار الدين:**

أول جمعية قامت على هدف نبيل في هذه الديار (نيجيريا) لرفع منار الإسلام، هي جمعية أنصار الدين، وقد تأسست هذه الجمعية على يد رجل يدعى علي بلوغن الراحل حوالي سنة ١٩٢٠م، ثم تبعتها جمعيات إسلامية أخرى حتى بلغت اليوم ثلاثين جمعية، كلها تهدف إلى سد ثلمة من الثلم، وأداء واجب من الواجبات الدينية. وقد لخص المؤسسون أهداف الجمعية بما يلي:

١- إنشاء المدارس الخاصة لأبناء المسلمين لتخليصهم من أنياب التبشير المسيحي وتجنيهم السموم التي كانوا يدسونها في التعليم للمسلمين.

٢- إعداد رجال يقومون بأمر هذا الدين في المستقبل القريب والبعيد.

٣- توحيد صفوف المسلمين.

وهي من أكثر الجمعيات أتباعا، وأعظمها تأثيرا على الشعب النيجيري.

٢- **جماعة نصر الإسلام:**

أول جماعة إسلامية تأسست في بلاد هوسا، هي جماعة السنة التي أنشأها الشيخ عثمان بن فوديو، المجاهد الإسلامي الأكبر في غرب أفريقيا، وقد تكونت هذه الجماعة من تلاميذه في التعليم والإرشاد، ومن مريديه في الطريقة الصوفية ثم قامت الطرق الصوفية من قادرية وتيجانية مقام هذه الجماعة، وكان كل منها يعمل بحسب إرشاد مشائخ الطريقة ومقدميها طوال أيام الاستعمار حتى أوائل أيام الاستقلال(٢٥). وتعتبر جماعة نصر الإسلام الأولى من نوعها في شمال نيجيريا كلها، وهي امتداد لجماعة ابن فودي، وتمتاز بهذا عن الأحزاب السياسية والجمعيات الثقافية التي أنشؤوها قبيل الاستقلال. والفضل في تأسيسها يرجع إلى أحمد بلو الذي قام على أمر إنشائها(٢٦).

٢٤- آدم عبد الله الإلوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م، ص ١٠٥.

٢٥- آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام اليوم وغدا**، ص ٧٧.

٢٦- المرجع السابق، ص ٧٧.

لقد بدأت أعمال الجماعة المثمرة تثبت وجودها في نيجيريا في وقت مبكر، وبالتعاون مع اللجنة التنسيقية العليا لشؤون الجماعة ثم تحقيق إنجازات ضخمة في مجال الدعوة والإرشاد والتعليم والإغاثة، فأصبحت الجماعة هي الناطق الرسمي باسم المسلمين في الدولة، وعن طريقها أحيانًا تصل المنح الدراسية من الدول العربية والإسلامية إلى الطلاب الراغبين في مواصلة الدراسة إلى المرحلة الجامعية في الدول الأخرى(٢٧). ومن أهم إنجازات الجماعة، إنشاء المستشفيات والصيدليات العامة، وفتح أقسام الإسعاف الأولي، وتنظيم الدورات التدريبية، وعقد المؤتمرات الثقافية، كما وسعت نطاق دعوتها لتشمل غير المسلمين، الأمر الذي ساعد في اعتناق الكثير منهم للدين الإسلامي(٢٨).

٣- جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة:

ومن الجمعيات الإسلامية النشطة في نيجيريا، وبعض بلدان غرب أفريقيا، جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة، وقد أسست هذه الجمعية ـ على ما يقال ـ بغرض تنزيه العقيدة، وتصحيح مفاهيم المسلمين من أجل العودة الصادقة إلى هدي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والبعد كل البعد عن البدع والخرافات التي أدخلت في الدين، وهي ليست من الإسلام في شيء.

ومن أبرز ما قامت به هذه الجماعة: تأسيس المدارس الإسلامية، وعقد كثير من اللقاءات والندوات الثقافية، من أجل إظهار شعائر الدين الإسلامي على صورتها الحقيقية، وتحذير المسلمين من الكتب المنحرفة التي تبعد المسلم عن الإسلام(٢٩).

٤- الجمعية العربية الإسلامية في نيجيريا:

إن من أكبر الأسباب التي تحفز أدباء نيجيريا على تأليف الجمعيات هو الاهتمام بشئون اللغة العربية والدين، وهي أمور لا يمكن النظر فيها تحت إطار الحزب الحاكم الذي يتألف من مسلمين وغير مسلمين لا يمكن النظر فيها في البرلمان بحكم نص الدستور على علمانية الدولة. أنشئت هذه الجمعية عام ١٩٧٦م من قبل الرابطة النيجيرية لأساتذة العلوم العربية والإسلامية، وهي أهم جمعية تعمل لصالح اللغة العربية في نيجيريا. والغرض الأسمى من تأسيسها هو تغطية الأماكن الشاغرة في التعليم العربي

٢٧- ثالث عبد الله أبو بكر، **حركة اللغة العربية في أرض إغالا بولاية كوغي، نيجيريا**، مطبعة ألبي الإنتاجية، إلورن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ٣٨- ٣٩.

٢٨- المرجع السابق، ص ٣٩.

٢٩- المرجع السابق، ص ٣٩- ٤٠.

الإسلامي، وإليك أهداف هذه الجمعية:

أ- توحيد صفوف مدرسي الدراسات العربية والإسلامية في جميع المدارس النيجيرية.

ب- بدء وتشجيع ودعم الأبحاث العلمية في الدراسات العربية الإسلامية.

ج- تطوير الدراسات العربية الإسلامية، والتشجيع على تنميتها في جميع المراحل التعليمية.

د- التعاون مع الأطراف المعنية الأخرى بداخل نيجيريا وخارجها في وضع المناهج المناسبة، والكتب المقررة في التعليم العربي الإسلامي.

هـ- إنشاء مجلة تنشر بانتظام في مجالات الدراسات العربية الإسلامية(٣٠).

و- تنظيم الحلقات الدراسية والمؤتمرات والندوات في شتى مجالات الدراسات العربية الإسلامية، من حين إلى آخر.

ز- النظر في جميع المشكلات التي تعوق تقدم التعليم العربي الإسلامي في نيجيريا، والقيام بالمحاولات الجادة لإيجاد الحلول لها.

ح- القيام بنشاطات أخرى تلائم الأهداف المذكورة(٣١).

وقد بدأت جهود هذه الجمعية تثمر، من يوم نشأتها واستمرت إلى يومنا هذا. وقد رأينا إنجازات لا تعد ولا تحصى من تغيير المفاهيم الخاطئة، تجاه الثقافة العربية الإسلامية إلى الفهم الصحيح للثقافة العربية ودورها في المجتمع الدولي والمحلي. وفي ذلك يقول الدكتور عيسى ألبي أبوبكر، المحاضر بقسم اللغة العربية بجامعة إلورن، نيجيريا، وهو أيضًا عضو بارز في الجمعية(٣٢):

"نتائس"(٣٣) جمعية الأذكياء	سلامي عليك بحسن الثناء
خرجت إلى الكون مثل السنى	ينير على الدرب خير الضياء
أيا منتدى العلماء العظام	وهم في معارفهم بعداء
ويا ملتقى الشعراء الكرام	ويعلون في الدرب فوق السماء
مساعيك للعلم محمودة	ولا زلت للعلم كل الرجاء

٣٠- وقد صدرمن الجمعية ما يزيد على عشرة مجلدات من يوم بدئها.

٣١- انظر: دستور جمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية في نيجيريا الصادر عام ٢٠٠٠م، ص ٢-٣.

٣٢- عيسى ألبي أبو بكر، **الرياض**، ص ٦٨.

٣٣- اختصار للعبارة:

وإحياء آثار من قد مضـــوا يقيها رجالي شرور الفنـــاء
بلادي لدى العصر معروفــة بنوها رجال العلا والسنـــاء
لقد ملأوا الأرض علما نــرى يتيه الصباح بهم والمســاء[٣٤]

٥- جمعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

قامت جمعيات مختلفة في أنحاء نيجيريا، متعددة المذاهب والاتجاهات في الصحوة الإسلامية، منها: جمعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، التي قامت في آخر القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت لها شهرة فائقة، ونفوذ قاطع على المجتمع، حتى انضم إليها بعض المسيحيين، ولاعيب في هذه الجمعية يراه مخالفوها غير أنها تتفاخر وتتظاهر بالزينة البالغة يوم عيد الأضحى والفطر لتحويل أنظار الوثنيين والمسيحيين إليهم في الأعياد. ولقد دخل في الإسلام عدد غير قليل بواسطة هذه الجمعية[٣٥]، وقد ألف أعضاء الجمعية أناشيد مدحية نبوية منها قصيدة "محمدية"[٣٦]:

إذا ما شئت في الدارين تسعـد فكثر بالصلاة على محمد[٣٧]
وإن صليت فابغ الأجر فيهـا وشفع بالصلاة على محمد
وإن شئت القبول لها يقينـا فتختم بالصلاة على محـمد
فلا صوم يصح ولا صــلاة لمن ترك الصلاة على محمد
وفعلك كله عقباه خيـــر إذا صليت فيه على محمـــد
وقم في الليل وادع الله وارغب لربك بالصلاة على محمد
وقل يا رب لا تقطع رجائــي وكن لي بالصلاة على محمد
فعجل بالمتاب على عبيـــد توسل بالصلاة على محمـد
فكن لي عند خاتمتي فإنــي سألتك بالصلاة على محمد
فما تتضاعف الحسنات إلا بتكريم الصلاة على محمـــد

٣٤- ألقى الشاعر هذه القصيدة في المؤتمر التاسع لمنظمة مدرسي اللغة العربية والإسلامية في جامعة إبادن ـ أولى جامعات نيجيريا ـ يرجع تأسيسها إلى عام ١٩٤٨م. وكان تاريخ الإلقاء في عام ١٩٨٤م.

٣٥- آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام اليوم وغدا**، ص ٦٩- ٧٠.

٣٦- هي قصيدة تنتهي بلفظ "محمد".

٣٧- آدم عبدالله الإلوري، **الفواكه الساقطة**، مكتبة وهبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، الطبعة غير مذكورة، وكذلك سنة نشر الكتاب، ص ١٢-١٤.

وإن أبصرت قوما ليس فيهم منيب بالصلاة على محمـد
فجنب عنهم واطلب سواهـم وذكر بالصلاة على محمد
فما الخيرات والبركات إلا جميعا بالصلاة على محمد
وخف مولاك في سر وجهر وصل على الشفيع لنا محمد
وإن كانت ذنوبك ليس تحصى تكفر بالصلاة على محمد
فإن جاء الممات ترى أمورا تسرك بالصلاة على محمد
وعند القبر تظفر بالأماني وترحم بالصلاة على محمد
ولا تخشى من الملكين رعبا إذا سالاك قل لهما محمد
رسول الله حقا اتبعنـــا وآمنا وصدقنا محمـد
وفي ضيق الضريح لك اتساع وتلهم بالصلاة على محمد
وفي يوم الحساب إذا بعثنا تؤمن بالصلاة على محمد
وتأتي الحوض تشرب منه كأسا وتروى بالصلاة على محمد
وتدخل جنة لا موت فيها بما قدمت من ذكرى محمد
فهذا كله من فضل ربـي هدانا بالصلاة على محمد
وفي يوم الحساب إذا بعثنـا نؤمن بالصلاة على محمد
وتأتي الحوض تشرب منه كأسا بما قدمت من ذكرى محمد
فهذا كله من فضل ربـــي بما قدمت من ذكرى محمد
وتنعم بالنعيم وحور عيـن بدار جارنا فيها محمـــد
وتنظر وجه ربك ذي الجلال بحفظك للصلاة على محمد
وتحمده وتشكره كثيـــرا على فضل الصلاة على محمد
رسول أبطحي هاشمـــي شفيع المذنبين غدا محمـــد
سلام طيب أرج بهيـــج على المختار سيدنا محمـــد

٦- **جمعية نصر الله الفاتح**(٣٨):

لقد استحدثت جمعية نصر الله الفاتح جمعيات صلاتية على النبي صلى الله عليه وسلم، في أرجاء

٣٨- بدأت الجمعية برنامجها في اليوم الخامس من شهر مارس ١٩٩٠م.

نيجيريا بأسرها، وتقام صلواتها الأسبوعية صباح الأحد ليتمكن عدد غفير من المسيحيين والوثنيين من التعرف على الإسلام عن طريق أنشطتها الحيوية، وأنظمتها الجذابة. ومن أهداف الجمعية:

١- ترشيد الصحوة الإسلامية بين مسلمي نيجيريا، خصوصا بين الشبان المثقفين.

٢- مساعدة الإخوان في شؤون الحياة، كالتوظيف والتصاهر ومساعدة المرضى وذوي الحاجات.

٣- توحيد صفوف المسلمين من مختلف المذاهب الدينية والانتماءات القبلية.

٤- منع الفتيات المسلمات من الزواج من غير أهل القبلة(٣٩).

ولهذه الجمعية جهد كبير في المجتمع النيجيري ونفوذ ملموس، لأن الموظفين الكبار والموظفات الكبيرات، بالإضافة إلى أزواج الحكام والولاة والوزراء، ينضمون إلى هذه الجمعية الصلاتية، ويبلغ عدد المشاركين والمشاركات فيها حوالي أربعة ملايين نسمة في نيجيريا، وحوالي مليون نسمة في العالم كله. وهي أكثر الجمعيات الصلاتية في نيجيريا عددا وأوسعهم صيتا.

٧- الإخوان المسلمون:

ومن الجمعيات التي لها أثر فعال وسمعة طيبة في مجال الدعوة الإسلامية وفي إقامة الصلوات الأسبوعية، جمعية تعرف بـ: "جماعة الإخوان" والتي لها مشاريع خيرية مهمة، منها: إحياء التراث العربي الإسلامي عن طريق الوعظ والإرشاد، والاهتمام بتعليم المسلمين شبانا وكهولا وشيوخا، وتقديم المعونات الدراسية للمسلمين. وقد أسلم على يديها كثير من المسيحيين المشهورين في المجتمع. وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على أن حركة الإخوان المسلمين وجهودها المبذولة في سبيل رفع الإسلام والثقافة العربية، معتبرة جدا في المحيط الإسلامي النيجيري.

٨- الرابطة الصوفية:

الصوفية طريق يدعو إلى تصفية النفس وتزكيتها، والتقرب إلى الله بالنوافل بعد اكتمال الفرائض للحصول على محبة الله(٤٠) وقد كان أغلب مسلمي غرب أفريقيا يلتزمون طريقة من الطرق الصوفية كالقادرية والتيجانية والسنوسية. ومن رجال هذه الطرق تكونت الجيوش الإسلامية التي قادها الدعاة الذين أسسوا الدول والحكومات الإسلامية بغرب أفريقيا على أنقاض الدول والحكومات الجاهلية

٣٩- ومن الظواهر المؤلمة في الوقت الراهن أن الفتيات المسلمات يتزوجن من غير المسلمين لسبب مادي غالبا. فحركة هذه الجمعية قامت لمنع هذه الظاهرة، خصوصا في الجنوب الغربي النيجيري.

٤٠- آدم عبد الله الإلوري، **دور التصوف والصوفية في غرب أفريقيا**، دار التوفيق النموذجية للطباعة، الأزهر، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ٧.

الأولى، وكان من أسباب تمسك الأفارقة بأوراد هذه الطرق وأذكارها إلى الآن ما يأتي:

١- اعتقادهم أن لها تأثيرا كبيرا في استجابة دعواتهم، أو أن الولي الذي انتسبوا إليه إنما حصل على درجة الولاية من تلك الأذكار.

٢- بقية فطرة التدين في نفوس الكثيرين منهم، فلم تطب نفوسهم بالاقتصار على الفرائض دون إضافة النوافل الخيرية إليها باعتبار أن الفرائض رؤوس الأموال، والنوافل هي الأرباح التي تؤخذ منها لتكميل الفرائض إذا انتقصت.

٣- كان العلماء يتشددون في ضرورة الأخذ بالتجويد في قراءة القرآن، فيهرب العوام من تلاوته إلى الالتزام بالأوراد التي يحصل لهم فيها الأجر والثواب دون تلاوة القرآن التي يأثمون منها ـ كما فهموا ـ إذا لم يجودوا القرآن كما يجب(٤١).

والجدير بالذكر، أن للطرق الصوفية دورها الملموس في بث الوعي الديني، ونشر الثقافة العربية في المجتمع النيجيري بصفة خاصة، والمجتمع الإغالي بصفة عامة(٤٢). ومن أبرز الأساليب الدعوية التي يستخدمونها في الترغيب في الدين هو المناسبات الإسلامية(٤٣).

التخصص في الإسلام لابد منه:

كل صناعة في هذا العصر تأبى على من لم يتخصص فيها أن يدلي فيها برأي، فضلا عن أن يمارسها صناعة أو يتزعم فيها مهما كانت هذه الصناعة تافهة وضيعة، ومهما كان من يتدخل فيها رفيع القدر، كامل العلم في ميدان آخر، فالقانون لا يتكلم فيه الأطباء، والهندسة لا يمارسها الفلاحون، والطب لا يجربه المحامون، والفقه لايفتي فيه النحاة والبلاغيون، فكيف يجوز أن يفتي في الإسلام من لا يحسن

٤١- آدم عبد الله الإلوري، **توجيه الدعوة والدعاة في غرب أفريقيا**، مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ص ٧٩- ٨٠.

٤٢- تقع أرض إغالا شرقي مدينة لوكوجا، عاصمة ولاية كوغي، ويحدها نهر بنوي شمالًا، ومدينة نسوكا في ولاية أنمبرا جنوبًا، وأرض إدوما في ولاية بنوي شرقًا ونهر النيجر غربًا. ويبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات عام ١٩٩١م، ٣٧٦ ٩٧٧ نسمة. وللتفصيل عن قبيلة إغالا، انظر: سيد ثالث أبوبكر عبد الله، **حركة اللغة العربية في أرض إغالا**، ص ١-٩. والكتاب هو أول كتاب عربي يظهر في مجال الأدب العربي النيجيري عن القبيلة. نشر هذا الكتاب عام ٢٠٠٩م.

٤٣- ثالث أبو بكر عبد الله، **حركة اللغة العربية**، ص ٤٠.

ولايعرف مبادئ الدين الضرورية، فضلا عن أن يعلم غيره[٤٤].

اقتراحات:

على ضوء ما تقدم من الأوضاع الإسلامية في نيجيريا وغرب أفريقيا، فإننا نرى أن نبدي بعض الاقتراحات التي قد تفيد في هذا الشأن:

١- إنشاء مهعد لتخريج أئمة نيجيريا وغرب أفريقيا أكفاء يمثلون الأمة الإسلامية خدمةً للمسلمين.

٢- العمل على إنشاء مجلس خاص بالأئمة في كل قطر من أقطار غرب أفريقيا.

٣- فتح المكاتب العامة لشؤون مسلمي غرب أفريقيا.

٤- إنشاء هيئة تقوم بإحصاء المساجد في كل قطر، وإرسال عددها إلى هذه المكاتب التي تتولى شؤون الإسلام، وطبع أسماء هذه المساجد وبلادها وجهاتها في كتاب خاص[٤٥] للتعارف على قضايا ومشكلاتها وحاجاتها حتى يمكن لحلها.

٥- إبعاد الزعماء السياسيين الذين لا يعملون أحكام الشريعة الإسلامية عن التدخل في شؤون المؤسسات الإسلامية.

٦- الالتزام بشروط الإمامة المعروفة في الشريعة الإسلامية قبل الإمساك بزمام الأمور في المؤسسات التي تعمل على خدمة الدعوة الإسلامية.

الخاتمة:

ولتتقدم الدعوة الإسلامية إلى الأمام في غرب أفريقيا عامة، وفي نيجيريا بصفة خاصة، ينبغي أن تجد مزيدا من الدعم من الدول العربية والإسلامية وإلا فإن حركات الإسلام والثقافة العربية، تتضاءل تدريجيا، نظرا إلى الهجمات التي يشنها الأعداء عليها ولحصرها في أضيق الدوائر من كل جانب.

Factors of Survival in Nigeria's Muslim Culture

The Nigerian Islamic scholars have been playing a vital role in promoting Arabic and Islamic Studies in their country. They disseminated Islam and Arabic Language through the limited means available to them in all corners of Nigeria. In this effort, they did not seek external support from any government or individuals.

٤٤- آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام اليوم وغدا**، ص ١١٦-١١٧.

٤٥- آدم عبد الله الإلوري، **حصاد المناسبات الإسلامية**، ص ١٠١.

They made remarkable progress in converting many pagans and Christians to Isl┐m. As a result of their efforts, many locals willingly embraced the new religion.

The efforts by Imams of different mosques, situated in various towns, wandering Muslim scholars and S└f┘ leaders also made significant contribution in this mission.

****